

العلم ومصادر المعرفة

أهداف الدرس

يتوقع منك بعد الدرس أن:

- تقدر أهمية العلم.
- تبين أثر العلم في حياة الأمم.
- تعدد مصادر المعرفة.
- توضح ميزة الوحي على بقية مصادر المعرفة.
- تبين خطأ الاستقلال بالعقل في الحصول على المعرفة.
- تقفد رأي من زعم أن الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة.

أهمية العلم

العلم قوام الحياة، وأساس النهضة، وعماد الحضارات، ووسيلة التقدم للأفراد والجماعات؛ فبالعلم يعبد المسلم ربه على بصيرة، وبه يعامل الناس بالحسن، وبالعلم ترتقي الأمم، وتبنى الحضارات وتبلغ الأمجاد.

فضل العلم

جاءت نصوص الكتاب والسنة دالة على فضل العلم، حاثّة عليه، مرغبة في طلبه، مبينة عظم أجره، قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(١)، وقال ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رَضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطٍّ وَافِرٍ»^(٢).

وإن كان المراد بالعلم الذي جاء فضله في النصوص هو علم الكتاب والسنة إلا أن فضيلة العلم وشرفه في الإسلام شاملة أيضًا لكل علم تنتفع به الأمة، ويعلو به قدرها، ويعز به جانبها، ويكثر به خيرها، ويطرده به تقدمها، وتأخذ به مكانها بين الأمم.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) رواه أبو داود (٣١٥٧)، والترمذي (٢٦٠٦).

ولقد تألقت الحضارة الإسلامية قرونًا من الزمان؛ محفظةً بأصالتها ومبادئها، متفنةً في علومها وتجاربها. عنت بتعليم جميع العلوم النافعة؛ من العلوم الدينية والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية والتجريبية وغيرها من العلوم التي يكون بها قوام الأمة وصالح الأفراد والمجتمعات، ويكون بها استغناؤها عن غيرها من الأمم.

مصادر المعرفة

لكل أمة أو فئة من الناس مصادرها الخاصة التي تعتمد عليها وتستمد منها علومها ومعارفها، وأبرز مصادر المعرفة الصحيحة في الإسلام ما يأتي:

أولاً: الوحي:

الوحي الإلهي يتمثل فيما جاء به الكتاب الكريم، وسنة النبي ﷺ، ومزية الوحي على غيره من مصادر المعرفة أن ما يقدمه من علم هو حق يقيني مطلق، لأنه من عند الله تعالى، وأنه المصدر الوحيد في بيان ما يحتاج الناس إلى معرفته عن الله تعالى وشرعه، والبهت بعد الموت، والجزاء الآخروي، وسائر الأمور الغيبية. كما فصلت نصوص الوحي القول في العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، ويظهر فيها خضوعه لأمره كماً وكيفاً، وزماناً ومكاناً. لأن مبنائها على الانقياد والتسليم، ولا مجال فيها للرأي والاجتهاد. وأما في مجال المعاملات وأحكام الأسرة ونحوها؛ فقد جاءت الشريعة بكثير من الأحكام التفصيلية التي يلزم العباد الأخذ بها؛ كما جاءت بأصول عامة وقواعد كلية ليتمكن الناس من الاستفادة منها فيما يجد من أمور الحياة المتنوعة، ولتتلاءم مع البيئات المختلفة والمصالح المتنوعة في كل زمان ومكان في حدود الأسس والأصول التي وضعتها الشريعة. وقد تضمنت نصوص الوحي - الكتاب والسنة - بيان الحق، وإيضاح سبله ومناهجه، والدعوة إليه بأوضح عبارة، وأكمل بيان، وأقوى حجة، بينت ذلك وأرشدت إليه بالأدلة العقلية والعقلية، ولذا تخضع لها القلوب، وتطمئن لها النفوس، وتشرح لها الصدور، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْهُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥٧] قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ [٥٨] . ويتبع ذلك ما أجمع عليه الصحابة والتابعون فإنه لا يكون إلا حقاً.

ثانياً: العقل:

ويراد به الملكة التي جعلها الله في الإنسان يدرك بها الحقائق ويميز بها بين الأمور، وقد جاء الإسلام بتكريم العقل ورفع منزلته، ومدح الله العاقلين أولي الأبواب والنهْي في غير موضع من كتابه الكريم. والعقل في الإسلام مناط التكليف، ومصدر من مصادر المعرفة. ولكن هذا العقل جزء من الإنسان المخلوق الضعيف المحدود، ومن ثم فإن المعرفة الناتجة عنه تبقى دون العلم الذي يقدمه الوحي، ويعتريها النقص والقصور، ولذا فإن عالم الشهادة هو الميدان المفتوح أمام عقل الإنسان للتفكير والإبداع، وذلك بأن يتوجه إلى تدبر آيات الله في الكون، والتعرف على سننه في خلقه، وأن يجتهد في تسخير الكون المحيط به لمنفعته، وتحقيق عبوديته لخالقه، وعمارة الأرض وفق منهجه.

وقد أمر الله سبحانه عباده بالتفكير في الكون، والنظر في الظواهر الكونية المختلفة، وتأمل بديع صنع الله تعالى، ومما كرم نظامه، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]. وفي المقابل نهى الإسلام عن الخوض أو التفكير في الحقائق الغيبية - كالتفكير في ذات الله وصفاته، وحقيقة الروح - لكونها خارجة عن إمكانيات العقل وقدراته، وقد كفى الله عباده ما يحتاجون إليه من هذا المجال بالوحي المعصوم، قال تعالى: ﴿ وَفَعَّلْنَاكَ مِنَ الرُّوحِ قُلُ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

ثالثاً: الحَوَاسُّ:

والمراد بها الحَوَاسُّ الخمس التي يستشعر بها الإنسان ما حوله؛ وهي: السمع، والبصر، والشم، والتذوق، واللمس. والحَوَاسُّ وسيلة الإنسان لإدراك الطبيعة من حوله قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، وهي تتفاوت في قوة ما تقدمه للعقل من مادة يصل من خلالها للمعرفة، كما قال ﷺ: «ليس الخبر كالמעينة»^(١). وقد جاءت كثير من الأحكام الشرعية معلقة بالمدرجات الحسية؛ كأوقاف الصلوات الخمس، وزمان الصوم والنفطر والحج، وغير ذلك.

وهناك من يغلو في شأن الحواس فيجعلها المصدر الوحيد للمعرفة، وما عداها خرافة ووهم، ومن ثم فجميع الأشياء الغيبية التي لا يمكن أن يدركها الإنسان بحواسه أوهام لا حقيقة لها معتبرة. وخطأ هذه النظرة ظاهر فإن القصور في الحَوَاسُّ، وما يعرض لها من الخطأ بين لكل أحد، بل إن الحَوَاسُّ في واقع الأمر ما هي إلا أدوات يستعين بها العقل، إذ لو جردت الإدراكات الحسية من حركة العقل فيها لفقدت قيمتها.

نشاط

العقل أحد مصادر المعرفة الرئيسية، ولكن له حدود لا يستطيع تجاوزتها، من خلال النصوص الآتية استنتج حدود العقل التي دلت عليها.

حدود العقل	النص	م
الآية هنا موجهة إلى اصحاب العقل لفهم مراد الآية.	﴿ مَا مَنَّا الَّذِينَ فِي تَلَوِّهِمْ ذِكْرًا مِّنْ قِبَلِنَا مَا فَتَنَنَاهُ مِنْهُ ابْنَتَهُ الْوَسْوَ الْغِيَّةَ تَأْوِيلَهُ وَمَا يَسْمَعُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧].	١
أن الإنسان يدرك أن لله تعالى جنود في الأرض مثل الربيع، البهار، الدواب وغير ذلك فالعقل هنا يدرك ذلك وهناك من الجنود ما لا يعلمه إلا الله.	﴿ وَمَا يَلَاكُ جُنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَكُنْ إِلَّا ذِكْرًا لِلْبَشَرِ ﴾ [المدرثر: ٣١].	٢
العقل هنا يدرك أن هناك أقوام نفوذ توح وعاد ونمود، ولكن هناك أقواماً أخرى لا يدركها العقل فلا يعلمها إلا الله.	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمٌ تُوحِي وَصَاوُا وَنَعُوذُ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [إبراهيم: ٩].	٣

(١) أخرجه أحمد ١٧٤٥/٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

حدود العقل

النص

م

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْفَيْثَ وَيَسْخَرُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]

أن تؤمن بأن هناك علم غيب لكن لا يعلمه إلا الله.

يدرك هذا العقل أن هناك جزء في الآخرة أعده الله لا يعلمه أحد فيؤمن به ويفرغه بهذه الحقيقة فقط.

هذه الأمور لا يفكرها العقل لأنها خاصة بالله عز وجل وإنما هي خاصة بالله عز وجل، فقد نهى الإسلام عن الخوض والتفكير في الحقائق الغيبية.

٢

نشاط

قم بزيارة لغرفة مصادر التعلم بمدرستك، ثم سجل أهم أنواع مصادر وأدوات المعرفة الموجودة وبين إلى أي مصدر من مصادر المعرفة الرئيسية تنتمي:

م	مصادر وأدوات المعرفة الموجودة	انتمائها للمصادر الرئيسية
١		
٢		
٣		
٤		

الحلول
hulul.online

التقويم

?

بين أهمية العلم مستدلًا لما تذكر.

ما أثر العلم في حياة الأمم؟

قارن بين مصادر المعرفة من حيث الصدق والشمول.

ما مزية الوحي على بقية المصادر؟

هل يمكن أن يستقل العقل بالمعرفة؟ وماذا؟

ما الذي يترتب على القول بأن الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة؟

يُبَيِّن أهمية العلم مستدلًا لما تذكر.

هو قوام الحياة وأساس النهضة وعماد الحضارات وذلك لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9].

ما أثر العلم في حياة الأمم؟

تبني به الحضارات وتبلغ الأمجاد وترتقي الأمم به.

ما مزية الوحي على بقية المصادر؟

أن ما يقدمه من علم هو حق يقيني مطلق : لأنه من عند الله تعالى.

هل يمكن أن يستقل العقل بالمعرفة؟ ولماذا؟

نهى الإسلام عن الخوض أو التفكير في الحقائق الغيبية كالتفكير في ذات الله وصفاته وحقيقة الروح لكونها خارجة عن إمكانيات العقل وقدراته وقد كفى الله عباده ما يحتاجون إليه من هذا المجال بالوحي المعصوم. قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

ما الذي يترتب على القول بأن الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة؟

خطأ. لأن الحواس في واقع الأمر ما هي إلا أدوات يستعين بها العقل إذا لمجردت الإدراكات الحسية من حركة العقل فيها لفقدت قيمتها، فمن يغلو في شأن الحواس ويجعلها المصدر الوحيد للمعرفة وما عداها خرافة وهم فجميع الأشياء الغيبية التي لا يمكن أن يدركها الإنسان بحواسه أو هام لا حقيقة لها معتبرة.